



البعثات الأثرية الجديدة في أور 1-2

تكهنات عن عكازة دي أوغستينو السومرية



نعيم عبد مهلهل

دوسلدورف

التواليات وسط ضحك وصفارات الذين لم يعرفوها ، بل أبوقها مكبوتة بسبب الخجل. العالم سيلتقم بظه الأثري وحتما سيحده ارضاً متحصرة يكسوها السبخ ، وهو نوع ردي من أنواع الملح ، وسيباشر بالحفر معتمداً على معلومات من الحمدياني ، أو على صور الأقمار الصناعية ، وعندما يستريح هو وعماله سيدج احاديث شيقة من صديقي أمير ، وسيتعلم كيف تصاغ المرحبة (النكتة) في هذه المدينة ، وحتماً سيسبح له أمير ليبحث عن تلك النكتة التي تزيح عنه سوري قديم يعبر فيها الإنسان عما

يحمل في صدره من هم وشكوى؛ ليبحث في تلك النكتة التي تزيح عنه قليلاً من هم يصنعه الملك والكاهن والمرابي وتاجر الحبوب الجشع ، والآب الذي يرفض أن يوافق على زواج الحبيبة من حبيبها. لم أر وجه دي أوغستينو إلى الآن ، وعلى أن اتخيله ، ذلك الوجه القريب من الوجوه التي تخيلها إيطاليو الحمدياني والصدق أمير دوشي. فيما المسافة الثمانية هي خطواتي مع باريس إلى الناصرية ، فلم تعد لي مع ذكريات العطر في سريحة فرانسواز ساغان الشفراء سوي ذكريات لم تصل فيها إلى قاعة أن كتشف الشرق في فك الغرب ونجعل مصافحة ، وربما بسبب الحزن من شباب مغاربة منظرين هاجمو عدة أمكنة بالعاصمة الفرنسية بالمفخخات ، وعندما حاولت أن أتبعها أنا أبناء أور لا نحب عنفاً كهذا ، وطريقة في التعامل مع الحضارات الأخرى ، لكنها قالت بلغة يائسة : ولكنكمما الأثين من أمة واحدة. وحين أخبرتني أن المغاربة الذين شنوا هجماتهم الإرهابية يعتقد أنهم من اصول أمازيغية ، وهم من أمة أخرى. عادت لتقول : ولكنكم من خارطة واحدة؛

خطواتي وصلت إلى الناصرية مع الفرق التي ذهبت إلى عقد اجتماع مع صورة أبي المعلقة على الجدار ، الذي أغمض عيناه وأنا اتيه في برزان ، كل شيء افتقد طعمه عندها ، وقد صار عمرها الآن خمسة وتسعين عاماً ، لكنها استعادت شيئاً من هاجس الشوق القديم فيها ، إذ بدأت تشعر رويداً رويداً أن ولدها الذي فارقها من أعوام طوال قد عاد إليها. على أن تخيل دي



الدكتورة ليتشا رامانو

بالحروب ، المراني التي تنشدنا الأمهات بسحة غريبة يوم يؤتى بابناهن قتلى في حروب لا حصر لها . تقول جوليا : إذن لا يحتاج لنحفر في التراب ، لننظر في عيون الناس هنا ، ونعرف كيف كان يعيشون اجداك يا أمير . يضحك أمير... يضحك دي أوغستينو ، ويقول مازحاً : هل تريدون شيئاً عن ولیم بليك. ترد عليه فرونيكا : كلا نريد شيئاً عن كالفينو... كالفينو ، لربما نحن الآن نبحت عن مدن تخيلها هو وعلينا نحن نعيد اكتشافها.

قالت رامانو : أنا معجبة بمورافيا ، بطريقة سردة للحظة الغرامية ، اتخيلها معاشة داخل القبور السومرية في عناق هيكلين عظيمين في تصوري أننا سنعقر عليها بعد حين.قال عبد الأمير الحمدياني : موضوع الغرام تشغل حيزاً كبيراً في التراث والحياة السومرية ، وكل ما نأجده حتى لو طلبنا لرغيف خبز من صبيات الجبران كنت تقبل الدمى التي تصنعها في اعتقاد طفولي منك أن الدمى هي من تختصر حلم الحصول على امرأة حقيقية بشحم ولحم. تسال الدكتورة برلا : وهل كان كلكامش يفكر ويعتقد مطلقاً أنت . قلت : نحن نفكر مثله وليس هو يفكر مثله. ضحكت وقالت : وأنا أريد أن أفكر مثله يفعل هو.

الفرسي رامبو الذي توكلنا عليه في خباياه بعد مغامراته الأثريّة لفلع شيئاً كبيراً . قال دي أوغستينو : وستراه بفعل ، فلربما به سوف أتنيش في التل وأظهر للعالم شيئاً عظيماً ، ربما يهم الطوفان أو رؤى يستعين بها التاريخ من أجل فهم علاقة الماضي بتغيير عتوانك الوظيفي من معلم في واحدة من مدارس الأهوار إلى موظف في متحف الناصري ستلقي بهذا الإيطالي الطيب الذي يتحدث مع أمير والحمدياني عن نبلة وثقافته وعمق معرفته بالحرف السومري الذي أدهش فيك صدى الكتابة الأولى. ستجلس أمامه ، وستلقي عليه موعظة أنك أكثر دراية بالهائج الروحي للمكان ، وأنه عندما يرد أن يرتدي قميص جلعاشم عليه أن يخلع قميص ولیم بليك ، فروح ملك أوروك لا تحب المشاركة؛ لأنه روح تشظي في الف هائج ولا يسع المكان غير هواجسها. تجب كلماتك ورويتك فرونيكا زميلة فرانكو في البعثة ، ويشع من عينيها شيئاً من عاطفة ناعمة وحمراء تشبه لون النسيج الإيطالي القادم من مزرعة صقلية ، فتهمس له : أظن أنك تعرف عن جلعاشم أكثر من رئيس بعثتنا دي أوغستينو. أحب أن أسمع منك؛ تضحك وتسال أجفانها ، وتتادماها بخاطرة شبيهة ، مثل تلك الخواطر الناعمة التي كان يكتبها الجنود من أهل أور قبل أن يؤذن الملوك لهم بالموت الجمالي في حروب السلالات : أنت جميلة يا فرونيكا ، لكن كاترين دينوف تبقى الأجمل ، لكنها لم تسال عن العطر الذي يرشاه جلعاشم على صدره يوم يريد أن يحتضن كاهنه أو خليله بعد عودته اليائسة من تلك الرحلة التي كان فيها لحظة الذهاب يرثي دهاء من أخذية باتا ، ولكنه عاد إلى أوروك حافياً.

أنت فرونيكا تستالين حتماً ، وهنا ترد فرونيكا : حتماً ساسال ، ولأجل هذا عبرت من قارة إلى قارة ، لاكتشف أن ملك أوروك يصلح لكل نساء الأرض.



العالم الأثري الإيطالي فرانكو دي أوغستينو

سيدمانياتي إلى الدكتور فرانكو صديقهما ورئيس البعثة الأثرية الإيطالية. أمسح الصورة بدموع شوقي إليه ، وأنا أقف على رأسه في صمته الأبدي في قبر يرتفع عن الأرض شيرين وتشاركتني لحظة الشوق أمي المسنة التي ساعدني الجبران على حملها إلى المقعد الخلفي من السيارة ، وهي لا تعلم أين نحن ذاهبان إلا عندما اقتربنا من المقبرة وشمت رائحة الهجوع للموتى فهمست بحنان غريب : ظننت اني لن أراك ثانية بعيني إلا عندما يكون قبوري قرب قبرك. ها هو القبر يحدوب مثل تقوس ظهر أمي مثل الخلف من الفخار القديم ، وهمس بنظراته الأبوية العطوفة أن لا يموت وحده ، وصار يمشي منحنيًا بتأخير اللذ أكباس الشعر التي كان يحملها على أكتافه ليوصلها من سنام بعبر البدوي إلى خان تاجر الحبوب ، ثم ترك هذه المهنة؛ ليعمل حارساً في الآثار كما أنني ، فكتت وقتها أسجل نظرات إعجاب لأب يشبه جلعاشم في إضراره أن يتحول من حمل كيس التراب إلى أكتافه ليحمل بدلاً عنها زقورة أور ، وليصبح مثل سيزيف يحمل احلامي التارخ من أجل فهم علاقة الماضي حتى ظله يفرضه.

قال دي أوغستينو : هي لا تعرف قلت : كلا إنها لا تحب رامبو. جلمسة عمل أترك الصورة المفترضة أني حضرت مع أمير والحمدياني أول جلسة عمل وتعارف مع البعثة الأثرية ، وأبقيت أجفاني مشدودة بإطار صورة أبي ، فتهمس لي : انهب للصديق أمير وعبد الأمير واستغف منيها ليكونا عوناً لتعود إلى ذات المكان الذي حرك الذكورة في روح وجسد جدك فرانكو كاترين وولي تعتمد أن تردتي تخورة قصيرة وهي تسك منظاراً ، وتبحث في الأفق عن تلك العمارة البدائية لببوت الطين لقرى عشائر آل غزي المحيطة بمدينة أور أثرية. وما أنذا يا صديقي ثالث بينكم ، أتيت لأتعلم بينكم ومنكم ، أن أقرأ طلاس الطين ، وشكراً للحمدياني ، وقد همس على طربي بخصوصية إلى مدير عام الآثار بإمكانية نقل خدماتي من التعليم إلى الآثار للاستفادة من خدماتي كوني مهتماً بالثقافة السومرية ، وحضارتها ، وكما كتب في آخر سطر بالخصوصية : إن هذا المعلم يمتلك خزينة هائلة من الحب لأثار بلاده. وعلى خلال هذا الأسبوع بعد الموافقة على هاشم الدكتور عبد الأمير الحمدياني أن أنجز معاملة نقل خدماتي ، وعلى أن أصادر إظهار صورة أبي بعد أن أخبرته أن صديقي فبا بوعدها ، والثاني سيكون مترجمي في أي مهمة لي مع البعثة الإيطالية عندما وعداني أنهما

ارد : ومن غيره يصلح له؟ صدى بعيد لدمية طين فخرتها في طفولتي في التثور الذي كانت فيه أمني تصنع الخبز لنا ، وأنت تصلح أيضاً. تذكر أيتها الولد في التراث والحياة السومرية ، وكل ما نأجده حتى لو طلبنا لرغيف خبز من صبيات الجبران كنت تقبل الدمى التي تصنعها في اعتقاد طفولي منك أن الدمى هي من تختصر حلم الحصول على امرأة حقيقية بشحم ولحم. تسال الدكتورة برلا : وهل كان كلكامش يفكر ويعتقد مطلقاً أنت . قلت : نحن نفكر مثله وليس هو يفكر مثله. ضحكت وقالت : وأنا أريد أن أفكر مثله يفعل هو.

الفرسي رامبو الذي توكلنا عليه في خباياه بعد مغامراته الأثريّة لفلع شيئاً كبيراً . قال دي أوغستينو : وستراه بفعل ، فلربما به سوف أتنيش في التل وأظهر للعالم شيئاً عظيماً ، ربما يهم الطوفان أو رؤى يستعين بها التاريخ من أجل فهم علاقة الماضي بتغيير عتوانك الوظيفي من معلم في واحدة من مدارس الأهوار إلى موظف في متحف الناصري ستلقي بهذا الإيطالي الطيب الذي يتحدث مع أمير والحمدياني عن نبلة وثقافته وعمق معرفته بالحرف السومري الذي أدهش فيك صدى الكتابة الأولى. ستجلس أمامه ، وستلقي عليه موعظة أنك أكثر دراية بالهائج الروحي للمكان ، وأنه عندما يرد أن يرتدي قميص جلعاشم عليه أن يخلع قميص ولیم بليك ، فروح ملك أوروك لا تحب المشاركة؛ لأنه روح تشظي في الف هائج ولا يسع المكان غير هواجسها. تجب كلماتك ورويتك فرونيكا زميلة فرانكو في البعثة ، ويشع من عينيها شيئاً من عاطفة ناعمة وحمراء تشبه لون النسيج الإيطالي القادم من مزرعة صقلية ، فتهمس له : أظن أنك تعرف عن جلعاشم أكثر من رئيس بعثتنا دي أوغستينو. أحب أن أسمع منك؛ تضحك وتسال أجفانها ، وتتادماها بخاطرة شبيهة ، مثل تلك الخواطر الناعمة التي كان يكتبها الجنود من أهل أور قبل أن يؤذن الملوك لهم بالموت الجمالي في حروب السلالات : أنت جميلة يا فرونيكا ، لكن كاترين دينوف تبقى الأجمل ، لكنها لم تسال عن العطر الذي يرشاه جلعاشم على صدره يوم يريد أن يحتضن كاهنه أو خليله بعد عودته اليائسة من تلك الرحلة التي كان فيها لحظة الذهاب يرثي دهاء من أخذية باتا ، ولكنه عاد إلى أوروك حافياً.

أنت فرونيكا تستالين حتماً ، وهنا ترد فرونيكا : حتماً ساسال ، ولأجل هذا عبرت من قارة إلى قارة ، لاكتشف أن ملك أوروك يصلح لكل نساء الأرض.